

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

البدائي، ومن ثمّ كانت معرفة الفضاء الذي صدر الكلام في طلبه ضرورةً لإمكان فهم النصّ فهماً صحيحاً، ومستنداً إلى ضوابط معرفة الكلام. هذا، ولاسيّما النصّ القرآنيّ كانت له شاكلته الخاصّة، هي شاكله خطاب لا شاكله كتاب[418]، وأسلوب الخطاب يعتمد أحياناً وربّما أكثرياً على شواهد الأحوال – وهي المناسبات التي استدعت صدور مثل هذا النصّ – ممّا يقضي بضرورة الوقوف عليها؛ لإمكان فهم النصّ والبلوغ إلى مغزاه. فالافتقار بمدلول النصّ اللغوي، بعيداً عن ملاحظة شواهد الأحوال والمناسبات المعاصرة لنزول القرآن مجازفة خطيرة، ربّما أدّت إلى التعميل على القرآن، وكونه تفسيراً بالرأي. لغة الوحي ومسألة قراءة النصّ: هناك رابطة ذاتيّة بين معرفه لغة الوحي ومسألة تأويل النصّ. وهل كان هناك إجمال أو إبهام في لغة الوحي ليعتوره تداور وتدافع في فهمه، أم كان هناك جلاء ووضوح في البيان، كان يسهل تناوله، ويُسبرغوره لدى التدبّر والإمعان؟! لاشكّ أنّ لغة الوحي لغة العرف العامّ: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ فَوَمِهِ لِيُذَيِّبَ مِنْ لَهُمْ) [419]، (فَإِنْ زُمَّ مَا يَسْرُرْ نَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّ لَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [420]، (وَلَقَدْ يَسْرُرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [421]، (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّ لَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [422].